واذا فسدت الدنيا كان اسعادها مكراً واعراضها غدراً لانها اذا صحت
كانت وانعمت واذا استردت استاصلت واجحفت ومع هذا فصلاح
الدنيا مصلح لسرائر اهلها لوفور اماناتهم وظهور دياناتهم وفسادها مفسد
لسرائر اهلها لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم وقد وجد ذلك في مشاهد
الحال تجربة وعرفاً كما يقتضيه دليل الحال تعليلاً وكشفاً فلا شي انفع
من صلاحها كما انه لا شي اضر من فسادها لان ما به تقوى ديانات الناس
وتتوفر اماناتهم فلا شي احرى به نفعاً كما ان ما به تضعف دياناتهم
وتذهب اماناتهم فلا شي احرى به ضرراً وانشد لابي بكر بن دريد

الناس مثل زمانهم ... قدّ الحذاء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهـ ... ـرك في تقلبه وحاله
وكذا اذا فسد الزمان ... جرى الفساد على رجاله

واذ قد بلغنا القول الى ذلك فسنبدأ بذكر ما تصلح به الدنيا
ثم نتلوه بوصف ما يصلح به حال الانسان فيها **اعلم** ان ما به
تصلح الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة وامورها ملتئمة ستة اشياء
هي قواعدها وان تفرعت وهي دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل
وامن عام وخصب دار وامل فسيح فاما القاعدة الاولى وهي
الدين المتبع فلانه يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب على
اراداتها حتى يصير قاهراً للسرائر زاجراً للضمائر رقيباً على النفوس
في خلواتها نصوحاً لها في ملماتها وهذه امور لا يوصل بغير الدين
اليها ولا يصلح الناس الا عليها وكان الدين اقوى قاعدة في صلاح الدنيا

واستقامتها واجدى الامور نفعاً في انتظامها وسلامتها ولذلك لم
يخل الله خلقه مذ خلقهم عقلاء من تكليف شرعي واعتقاد ديني
ينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء ويستسلمون لامره فلا تتفرق
فيهم الاهواء وانما اختلف العلماء في العقل والشرع هل جاءا مجيئاً
واحداً او سبق العقل ثم تعقبه الشرع فقالت طائفة اخرى بل
سبق العقل ثم تعقبه الشرع لان بكمال العقل يستدل على صحة الشرع
وقد قال الله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى وذلك لا يوجد
فيه الا عند كمال عقله فثبت ان الدين صلاح الدنيا والاخرة فحقيق
بالعاقل ان يكون به متمسكاً وعليه محافظاً وقد قال بعض الحكماء
الادب ادبان ادب شريعة وادب سياسة فادب الشريعة
ما ادى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع الى
العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان لان من ترك الفرض
فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وقال سعد
بن حميد ، ما صحة ابداً بنافعة ، حتى يصح الدين والخلق ،
واما القاعدة الثانية فهي سلطان قاهر تتالف برهبته الاهواء
المختلفة وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الايدي
المتغالبة وتنقمع من خوفه النفوس المتعادية والمتعاندة لان في طباع
الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لما عاندوه ما لا ينكفون
عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي بذلك حيث يقول
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ، حتى يراق على جوانبه الدم

كذا في الام

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)